حول فشل الديمقراطيّة الليبراليّة في الشرق الاوسط

سيمون جارجي

بعد انقضاء سياسة الخصام المزمن بين العرب والغرب ، وقيام المحالفة والمصادقة بينهما، راح العرب يؤملون ان يتوصلوا عن طريق هذه المحالفة والمصادقة الى تحقيق استقلال طالما تمنوه وبذلوا في سبيله اغلى التضحيات .

غير انهم ما لبثوا ، غداة الحرب العالمية الاولى ، ان استفاقوا ليجدوا انفسهم مشتتين ومقسمين الى كيانات جغرافية وسياسية ، انشئت بصورة اعتباطية ومفتعلة .

وهكذا رأينا فرنسا تتسلم الانتداب على سوريا ولبنان ، في حين ان انكلترا ، التي كانت من قبل في مصر والسودان ، تضطلع بالانتداب على فلسطين والعراق . وفي الطرف الآخر من العالم العربي ، ومنذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، كانت افريقيا الشمالية ترزح تحت السيطرة الاوربية . فليبيا كانت مستعمرة ايطالية ، وتونس ومراكش كانتا محميتين فرنسيتين ، في حين ان الجزائر اضحت منذ سنة ١٨٤٧ جزءا من فرنسا .

الجزيرة العربية وحدها كانت تنعم باستقلال رسمي ، غير انها كانت منقسمة الى قسمين تحكم كلا منهما سلالة عربية منافسة للاخرى . فكان الحجاز تحت سلطة الشريف الهاشمي الحسين ، ونجد تحت سلطة آل سعود. ولم يلبث الامر ان استتب للسلالة السعودية بمعونة بعض العملاء الاوربيين السريين ، فخلعت العائلة الهاشمية عن العرش وطردت من الحجاز .

في هذا العالم العربي الذي اصبح كله رازحا تحت السيطرة الاوربية ، بقيت الجزيرة العربية وحدها تنعم بهذا الاستقلال التقليدي الذي كانت تتمتع به عبر القرون .

لا ريب بان تقسيم البلدان العربية الى دول يتميز بعضها عن البعض الآخر كان يرتكز الى حالة موروثة عن التنظيم العثماني . ولكن الشعوب العربية او المستعمَرة كانت تجد في تاريخها المبررات التاريخية لامانيها في عقد لواء الوحدة وجمع الشمل ما بينها جميعا .

هذا الحلم ، على كل حال ، كان يراود النخبة الثقافية والوطنية في البلدان العربية، وهو حلم غذته وشجعتهم عليه اوربا نفسها .

ومن هذا نشأت ، غداة وضعت اوربا يدها على البلاد العربية ، الخيبة التي كان مردها الى الهوة الفاصلة بين الحلم والحقيقة ، بين الوعود المقطوعة والاشياء الممنوحة .

فليس عجبا اذاً ان تخلق هذه الخيبة في النفوس حساسية وطنية تشتد شيئـا فشيئا في مناهضتها للغرب .

ومع ان النضال من اجل الاستقلال والتحرر كان ظاهرة عامة في البلدان المستعمَرة وبدرجات متفاوتة في آسيا وافريقيا ، غير انه ينبغي ، احتراما للحقيقة التاريخية ،البحث عن اسباب العداوة المتفاقمة بين بـلدان الشرق الاوسط واوربا خـارج نطاق السيطرة الاستعمارية مباشرة. فالانتدابات والحمايات التي عهد بها الىبعض الدول الاوربية اثر الحرب العالمية الاولى لم تكن في حد ذاتها السبب الحقيقي لهذا العداء .

ولكن الاسلوب الذي اتبعته الدول الاوربية في القيام بهذه الوصـاية ، والطريقة التي نفذتها بها في حياة البلدان الداخلية والخارجية، هما اصل الخلافات التي ذرت قرنها فيما بعد بين الاوربيين والعرب . وبكلمة اخرى ، يجب ان نفتش عن سبب الازمة التي قـامت وتفاقمت بين هاتين المجموعتين في الطريقة التي انشئت بها العلاقات الجديدة بين الغرب والعالم العربي ، مع جميع النتائج المترتبة من جراء سيطرة اوربا الغنية والقوية ووضع يدها على عالم فقير ولا يزال في مرحلة النمو والتطور .

وهكذا فاننا نتجاوز العوامل الخارجية المتعلقة بجميع الحركات الاستقلالية ، ونصل الى قضايا ايديولوجية سياسية واجتماعية بل واقتصادية مهدت لفشل الغرب في اعماله ومهماته في البلدان التي سلمت اليه ، وعلى الاخص في البلدان العربية.

اذا نحن القينا نظرة على الحقبة من الزمن الواقعة بين الحربين ، تحتمت علينـا الملاحظة بان الدول الاوربية المستعمِرة لم تفهم منذ البدء بان كل حركة تحرر قومية في العصور الحديثة تستتبع نهجا ثوريا يستدعي بدوره تطبيق امور غير النظم السيـاسية والادارية العامة التي هي بمثابة الالبسة الجاهزة .

والواقع انه منذ حـملة نابوليون على مصر في سنة ١٧٩٨ ، وعلى الاخص منـذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، كان لدخول اوربا مسرح الشرق اثر كبير في نفوس النخبة في البلدان الشرقية وفي عاداتها . وكان من جراء ذلك ان اخذ هذا الاثر يعم الطبقات الشعبية شيئا فشيئا، حتى انه تسبب في خلق هذا العصر الثوري الذي قلب اساليب الفكر المعتادة وغيّر نهج الحياة التقليدية والذي لم ينته بعد من اعطاء مفاعيله .

ماذا صنعت اوربا ازاء هذا الانقلاب العميق في طراز الحياة الفكرية والمادية في الشرق، وهو الانقلاب الذي تسببت هي به ؟

لقد انكرت نفسها ، وطبقت في البلدان التي اصبحت تحت سيطرتها اساليب اقل مـا

يقال فيها انها مخالفة للمبادىء التي كانت هي تنادي بها ، وانها غير منطقية ، ولا يبررها سوى ان مصالح وقتية وقصيرة النظر قد املتها .

فالبرجوازية الرأسمالية ، التي تضطلع بمهام الحكم في اوربا المستعمِرة ، قد تصرفت في البلدان التي استعمرتها بالطريقة الاشد بعدا عن المنطق ؛ فرأيناها ، وهي التي جاهدت منذ الثورة الفرنسية للاستيلاء على الحكم والاطاحة بالملكية لبناء مجتمع تحكمه نخبة من رجال الاعمال لا نخبة من رجال الاقطاع ، رأيناها تتعاون في بلدان الشرق ، كما في سائر البلدان التي استعمرتها ، مع كبار الاقطاعيين المشهورين بالظلم والجبروت ، وهم من المحافظين الى اقصى حدود المحافظة في حقلي المال والدين — اي مع جماعات مماثلة للجماعات التي كافحتها هي في اوربا ، وذلك لاستحالة نمو القيم البرجوازية في وسطها .

وكان من نتيجة هذا الخطأ ، كما رأينا في البلدان العربية وفي اكثر البلدان المستعمَرة منذ القدم ، ولادة برجوازية وطنية ، نمت شيئا فشيئا حتى اصطدمت بالاقطاعية التي تمثل الاقلية والتي تمتلك مع ذلك السلطة السياسية ومختلف الثروات الوطنية . ولما كانت هذه الاقطاعية هي في الوقت نفسه حليفة السلطات الاستعمارية التي قلدتها السلطة والامتيازات المختلفة ، فقد انصبت احقاد هذه البرجوازية على اوربا وعلى الحكام الذين نصبتهم ، وشهرت عليهم حربا مزدوجة ، سياسية واقتصادية .

وفي العالم العربي بالذات ، كانت هذه الحالة نتيجة للتطورات التالية :

ففي زمن الاحتكاك الاول باوربا في القرن التاسع عشر كانت جميع البلدان العربية تقريبا ترتكز على قواعد اجتماعية واحدة مستوحاة من النظام العشائري التقليدي المحدد في الواقع بالقانون الاسلامي : قواعد الارث ، وتوزيع فدية الدم على جميع افراد العائلة ، وما الى ذلك ؛ وكانت صلات القربى ، حتى البعيدة منها ، هي التي تكوّن المبدأ الاساسي للتضامن الاجتماعي .

ومع ان ركائز هذا المجتمع تختلف كليا عن ركائز المجتمع الارستقراطي والاقطاعي في اوربا ، فقد كان هذان المجتمعان يتشابهان في ان القيم الاقتصادية تأتي عندهما في المرتبة الثانية : فقد يتفق ان يكون مزارع ما ابن عم لاقطاعي ذي غنى فاحش ، ومع ذلك فقد كانا متضامنين الى ابعد حدود التضامن . لكن العقارات في الشرق لم تكن لتتسم بتلك الفردية المطلقة التي تتسم بها في اوربا .

ومن جهة ثانية فقد كان من شأن الثورة الاقتصادية في اوربا انها اغنت من افراد هذه الفئات مَن كان اكثر حظا واشد حذاقة . وفي اثناء ذلك كانت ركائز هذا المجتمع تنهار شيئا فشيئا والعلاقات التي تربط افراد العائلة الواحدة ، الاغنياء منهم والفقراء ، تنحل ويوما رويدا ويتحدد مبدأ الملكية الفردية . فاصبح الغني يحتفظ بثروته لنفسه بعد ان

اضحت تمثل كل قيمته ولا تفيد سواه، في حين ان الفقير كان ينزح الى المدينة مدفوعا بفقره المدقع ليبحث عن عمل يرد به عنه غائلة العوز، فكان ذلك يقطع آخر صلة له بفئته ويجعل منه عاملا منعزلا .

كانت الثروة في بلدان المشرق ، كما هي الحال في كل بلد قليل الموارد ، محصورة في ايدي بضعة اغنياء من الاقطاعيين الذين كانوا في اغلب الاحيان امميين لا يقدرون قيمة الاموال غير المنقولة ولا يقيمون وزنا الا للممتلكات الحسية. ومن جهة ثانية تتميز الاراضي في بلاد تكثر فيها اليد العاملة في انها لا تستوجب لدى صاحبها نشاطا او مؤهلات معينة. وعلى عكس البرجوازية الاوربية التي تمجد العمل ، فقد كانت هذه الفئة من الاقطاعيين تفتخر في اكثر الاحيان ببطالتها .

هل قصدت اوربا ، التي كانت تفخر بمبادىء الحرية والرقي والمساواة والتقدم الاجتماعي والتقني، الابقاء على هذه الحالة ؟ اجل — اذ انها في القرن التاسع عشر لم تكن تبغي من البلدان الواقعة تحت سلطتها سوى البحث عن المواد الاولية فيها من اجل مصانعها هي، وعن اسواق لتصريف بضائعها المصنوعة في هذه المعامل . ولكن ما فات اوربا هو ان وضع العالم العربي هو غير وضع المستعمرات الافريقية . ولم تكن الانتدابات والحمايات سوى مراحل وقتية ، من شأنها ان تمكن هذه البلدان ، التي هي على جانب كبير من الحضارة العريقة ، من ممارسة استقلالها ممارسة كاملة .

من الحق القول بان اوربا لم تهمل التطور الثقافي في العالم العربي. فعملية الاقتباس عن الغرب جدّت ونشطت ، ليس عن طريق التقليد فحسب ، بل بفضل مبادرات فعلية ايضا . غير ان طبيعة هذه العملية ، والوسيلة التي اتبعت للقيام بها ، تميزت بالاخطاء والجهل بطبيعة البلاد ، مما جر الى سوء فهم خطير والى صراع عنيف بين اوربا والنخبات القومية في هذه البلدان .

ثم ان هذه العملية التي شجعتها السلطات الاوربية ، والتي قامت (وهذه نقطة يجب التشديد عليها) بفضل بعض المثقفين العرب ، المبهورين ثقافيا صوب الغرب ، او على الاقل المعلنين اعجابا لا حد له بكل ما هو من اصل اوربي — هي مسؤولة جزئيا عن افلاس الايديولوجيات والنظم التي عرفتها البلدان العربية فيما بين الحربين .

ان هذا الموضوع يتطلب بحوثا مستفيضة ، ولكني سأقتصر على ذكر حقلين ادى عمل اوربا فيهما الى فشل ذريع .

فعلى الصعيد الثقافي ، كان لوجود اوربا وارسالياتها المتعددة ومعاهدها في البلدان التي

تشرف عليها كما على اراضيها بالذات اكبر الاثر في خلق طبقة من المثقفين ؛ ولكن عدا عن ان هؤلاء المثقفين كانوا ينتمون في اغلبيتهم الى الطبقة الاقطاعية الغنية التي تؤلف الاقلية ، فانهم لم يكونوا يتلقون علوما فنية ذات اختصاص معين. فما كانوا ينهون علومهم حتى يتوظفوا ويأخذوا بالاهتمام بالسياسة ، وفي هذا الحقل لم يكونوا يرون لمشاكل بلادهم سوى حلول قانونية ، وكان في رأيهم ان الاستقلال قادر على حل كل المشاكل .

لقد كان يلوح للسلطات آنذاك انه ليس من المفيد العمل على ايجاد فئة من التقنيين في هذه البلدان ، لاعتقادها الخاطىء بان الصناعة الثقيلة لا يتاح لها النجاح في البلدان النامية الا في آخر مراحل التطور ، كما حدث في اوربا . ولكن التجربة ، كما نعلم ، قد برهنت على العكس .

وعلى صعيد الحكم ، كانت القضية اشد خطرا: فاوربا الغربية كانت تعرف آنذاك انظمة ديمقراطية و دستورية و برلمانية مارستها مدة طويلة ووجدت فيها ذروة التقدم واحسن ما عثر عليه الانسان من نظم لحكم نفسه وادارة شؤونه العامة . وكانت كل سلطة اوربية تجد في هذا النوع من الديمقراطية ، على طريقتها الخاصة ، غاية مطلقة يمكن تطبيقها في جميع الازمنة وعلى جميع الناس : وكان ذلك بمثابة القانون السحري الذي اعتقدت اوربا انه بامكانها وضعه موضع التنفيذ في كافة البلدان المتطورة التي عهد بها اليها . وكانت اوربا تفكر بانه ما عليها الا ان تسيّر الساعة الكبيرة ، المتوقفة منذ قرون عديدة ، حتى تستطيع هذه البلدان ان تدرك التقدم الحديث الذي تتمتع به البلدان الاوربية . فمن جهة ، رأينا في البلدان التي اضحت تحت السيطرة البريطانية قيام ملكيات مقتبسة عن الطراز البريطاني ، مع مجلس منتخب يتضمن حزبين : حزبا حاكما وحزبا معارضا — ولم يكن ينقص هذه الملكيات العربات الملكية الفخمة ولا الحرس الملكي على صهوات جياده ! ومن جهة ثانية ، رأينا في البلدان التي اضحت تحت السيطرة الفرنسية جمهوريات برلمانية ، مع رئيس جمهورية وبرلمانات متعددة الاحزاب ذات نشاطات شبيهة ببرلمانات الجمهورية الفرنسية الثالثة او الرابعة — خطب ملتهبة ، وجلسات مضطربة ، وملاكمات برلمانية ، وتطبيقات خلف الكواليس ، وتكاثر الاحزاب السياسية التي تحمل اسماء براقة : قومي ، دستوري ، شعبي ، تحرري ، ديمقراطي ، الى ما هنالك . ولم يكن ينقص حتى الاحزاب الايديولوجية ذات النزعة اليمينية المتطرفة (كالحزب القومي السوري) او اليسارية المتطرفة (كالاحزاب الشيوعية) . اما العناصر التي لم تتقبل الايديولوجيات المستوردة من الغرب ، فانها وجدت الديانة الاسلامية مثلا اعلى وانموذجا للعمل السياسي : فرأينا حركة الاخوان المسلمين تلعب دورا كبيرا في كل من مصر و سوريا .

هذا ما كانت عليه المظاهر الخارجية . ولكن الحقيقة كانت تختلف عن ذلك كثيرا:

فلقد كانت هذه النظم المستوردة من اوربا ، وكانت عملية الاستيراد هذه ، من صنع العرب انفسهم اكثر مما كانت من صنع الاوربيين ، مطبقة على مجتمعات تختلف عن المجتمعات الاوربية سواء من الوجهة الاجتماعية او الاقتصادية او الثقافية او المدنية . فلقد نسي المستوردون في الواقع ان تطور اوربا كان نتيجة عشرين قرنا من المدنية المسيحية وثلاثة قرون من الفلسفة الديكارتية العقلانية .

ومن جهة ثانية ، فان مستوى التقنية الغربية قد كوّن مجتمعا يختلف تمام الاختلاف عن العالم الشرقي .

فالمجتمع الشرقي كان لا يزال تقريبا في النقطة التي تركه فيها الجمود الذي عقب عصور العرب الذهبية في القرون الوسطى : كان لا يزال مجتمعا اقطاعيا يملك الباشوات فيه كل شيء ويفرضون القوانين التي تروق لهم ؛ وكان مجتمع المدينة متأخرا ، ومستوى حياة اغلبية الشعب بائسا ، والتعليم نادرا ، والتثقف السياسي منعدما انعداما كليا .

لقد كان من شأن هذا النقل المحض لعادات الغرب وتقاليده ، بعد ان انتزعت من مركزها الاصلي وطبقت بلا تبصر على مجتمعات ما زالت محتفظة بتقاليدها على الرغم من سيرها في طريق الانحلال ، انه قضى على هذه التقاليد قبل الاوان وحافظ على اوضاع الاقطاعيين المكتسبة . ففي حقل الادارة لم يكن النجاح منوطا بالكفاءة ، بل بالانتماء الى فئة معينة او عائلة معروفة او حزب سياسي يمثل بدوره مصالح فئات معينة . وفي اثناء ذلك تكونت في المدن مجموعات كبيرة من السكان الذين لا جذور لهم ولا روابط بينهم ، وهم يتألفون من المتعلمين الذين لا يتناولون مرتبات كافية ، ومن التجار المضعضعين في اشغالهم ، ومن طائفة العمال المساكين . لقد كانت هذه المجموعات التي لا تستند الى اية رابطة تستجيب بعنف الى كل اثارة عاطفية او ديماغوجية دون التبصر بعواقبها. فلم تكن تشعر باية صلة بين العمل السياسي ، مهما كان ، وبين مصالحها الاقتصادية او الاجتماعية .

ولم يتورع الحكام العرب فيما بين الحربين ، لاجل الدفاع عن مصالحهم ، عن طلب مساعدة الدول الغربية المنتدبة او الحامية ، التي كانت لها هي ايضا مصالحها في الدفاع عن هؤلاء .

وهكذا نشأت في نفوس الاجيال الصاعدة ، من المثقفين الذين تلقوا علومهم في جامعات اوربا والمتشوقين الى الاصلاح والتقدم ، علاقة بين الديمقراطية الغربية وبين الاستبداد والاقطاعية . ان هذه الطبقة المتوسطة الجديدة ذات الطابع البرجوازي القومي لم تعد تجد في الايديولوجية الاوربية الغربية الزاد الكافي في نضالها ضد الاقطاعية لانتزاع السلطة والثروة منها . فاخذت تبحث عن مصادر اخرى ، والتفتت مدة من الزمن (قصيرة بلا ريب) نحو ايطاليا الفاشستية والمانيا الهتلرية ، ثم توجهت بعد الحرب العالمية

الثانية نحو الاشتراكية التي لاحت لها معادية للبرجوازية وللمجتمع القائم ومعنية في الوقت ذاته ببناء مجتمع جديد على اسس اجتماعية واقتصادية جديدة .

ان الحذر الذي تجلى في هذه البلدان نحو اوربا المستعمِرة لهـا بعد الحرب العالمية الاولى تحول شيئا فشيئا الى عداء يخبىء في طياته النزاعات التي تفجرت بعد عام ١٩٥٠ .

فعشية الحرب العالمية الثانية ، تألبت جميع الظروف وجعلت من العالم العربي مركزا من اشد المراكز قابلية للانفجار . فنشبت في العراق سنة ١٩٤١ ثورة قومية بقيادة رشيد عالي الكيلاني ، وكان رد فعل البريطانيين لها شديدا وعنيفا . وكذا الحال في سوريا و لبنان ، حيث حاول الاحتلال البريطاني الذي حل مكان الجيوش الفرنسية المنهزمة منع كل حركة ثورية من شأنها ان تنقلب على الحلفاء . ذلك لان العالم العربي ، وعلى الاخص الشرق الادنى ، كان ذا قيمة ستراتيجية اساسية بالنسبة الى الحلفاء : فهو ملتقى الطرق العالمية ، وهو يؤمن البترول عصب الحرب الحساس . وقد اضطر الحلفاء ، شعورا منهم بهذه القيمة ، وتخفيفا من حدة التوتر في هذا العالم ، الى اعلان استقلال سوريا و لبنان مع الوعد بجلاء الجيوش الاجنبية عنهما فور انتهاء الحرب . ولكن ما ان حان وقت انجاز هذا الوعد ، وتمت الترتيبات للقيام باعادة النظر في العلاقات بين اوربا والعالم العربي بعد نهاية الحرب ، حتى نجم حدث مليء بالنتائج الخطيرة ، كان من شأنه ان يعود بالامور القهقرى ، وان يهيج الرأي العام العربي ضد الغرب : اقصد بذلك الحدث الحرب العربية اليهودية سنة ١٩٤٨ التي حدثت نتيجة لتقسيم فلسطين واثر انشاء دولة اسرائيل . وقد سبب ذلك صدمة عـاطفية عنيفة في العالم العربي وخلق ازمة خطيرة في العلاقـات بينه وبين الغرب .

وفي هذه الفورة ، صبت الشبيبة القومية الحديثة جام غضبها على اوربـا الغربية وعلى حكامها انفسهم ، وشعرت بان الكيل قد طفح . وعندها تدخل العسكريون ، وهم يتحدرون في غالبيتهم من البرجوازية الصغيرة ومن اوساط بسيطة الحال ، وازالوا بالقوة الحكام والانظمة التقليدية . وكان الفضل في اعطاء اشارة البدء الى سوريا ، التي قام فيها حسني الزعيم باول انقلاب سنة ١٩٤٩ ، ومنذ ذلك الحين تتالت فيها الانقلابات العسكرية والانتفاضات الشعبية . وقد حدث الشيء ذاته في العراق الذي اعتلى مسرح الانقلابات منذ سنة ١٩٥٨ ، وكان آخر الداخلين اليمن .

ومن بين هذه الانقلابات جميعا ليس سوى « انقلاب » مصر الذي حدث في ٢٣ تموز (يوليو) ١٩٥٢ ، راح يتخذ شيئا فشيئا شكل الثورة الحقيقية ، التي تهدم النظام القديم

من اساسه وتحاول تجربة اشتراكية جديدة .

ومن جميع البلدان العربية (ولا نستثني سوى المملكة العربية السعودية التي يسودها نظام ملكي عشائري خاص ، والمغرب التي تسودها ملكية دينية جزئيا) ليس هناك سوى لبنان ، يستمر على تطبيق نوع من الديمقراطية البرلمانية مستورد من الغرب . ومع ذلك تجب الملاحظة بان هذه الديمقراطية ذات شكل خاص جدا مستوحى من اوضاع هذا البلد الخاصة ، وان اجهزتها تعمل ايضا بطريقة خاصة تستدعي الكثير من الملاحظات.

وهكذا فان فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية كرست بصورة نهائية افلاس سياسة فرنسا و انكلترا التقليدية ، الموروثة عن القرن التاسع عشر . مما جعل هذه البلدان ، التي اعتادت اوربا على اعتبارها صديقة وشبه حليفة (وذلك بصورة روتينية وبفضل افكار مسبقة) ، تلفظ كل نظام اتاها من الغرب وتمتنع حتى عن التعاون معه .

والواقع ان المنافسة القديمة بين الفرنسيين والانكليز ، التي تجلت في الشرق منذ حملة نابوليون على مصر ، قد كوّنت لدى الفريقين الاوربيين هاجسا ثابتا ، وانتهت بهما الى الفشل معا . وعلى كل حال ، فقد اظهرت هذه المنافسة بانه لا هذه الدولة ولا تلك قد نظرت الى ابعد من مصالحها الآنية ، وانها لم تتنبه الى سير الزمن في هذه البلدان التي اندفعت جديا في طريق الاصلاح .

فان بريطانيا ، طوال المدة التي دام فيها احتلالها لبعض هذه البلدان ، كانت مشغولة بفكرة تأمين طرق الهند الامبراطورية . وسياستها تجاه العالم العربي كانت تسير وراء تحقيق حلم اوحاه اليها لورنس الذي جعل الناس منه بطل اسطورة — حلم يتلخص في خلق امبراطورية هاشمية واسعة تؤلف فيما بعد جزءا من الكومنولث البريطاني .

اما فرنسا فلم تكن لها في العالم العربي سياسة معينة. كل ما هنالك ان اشعاعها الثقافي كان هائلا وكان يؤمن لها نفوذا كبيرا في بعض هذه البلدان . غير ان اهتمامها بالبقاء في افريقيا الشمالية ، وعلى الاخص في الجزائر ، دفعها الى مقاومة جميع الحركات الوحدوية المنبثقة عن القوميين العرب ، بكل ما كان في يدها من وسائل . واتبعت سياسة حماية الاقليات وتشجيع القوميات الصغيرة ، وعلى الاخص في سوريا و لبنان . ومن جهة ثانية ، فان مشروع الوحدة الهاشمية تحت الرعاية البريطانية كان يقض مضاجعها ، فكانت تقاومه مقاومة لا هوادة فيها .

هذه الحالة بالذات استدعت دخول فرقاء جدد على مسرح الشرق ، واندفاعا نحو تجارب جديدة .